موقف حزب المحافظين من هجرة اليهود إلى بريطانيا في النصف الثاني من العهد الفكتوري والعصر الأدوري

م. د. عدنان صالح محمد
adnan.s.mohamad@st.tu.edu.iq
المديرية العامة للتربية في محافظة صلاح الدين

الملخص

عدّت الهجرة اليهودية إلى بريطانيا في النصف الثاني من العهد الفكتوري والعصر الأدوري من أهم الأحداث التي واجهت بريطانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين، والتي أثرت على حياة المواطن الأصلي اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، مما حدا بحزب المحافظين البريطاني الوقوف ضد هذه الهجرة، إلا أن الحزب نتيجة تغير أفكاره بدأ تدريجياً بتغيير موقفه من هذه الهجرة، وبالتالي بدأت أفواج اليهود تتدفق على بريطانيا قادمة من أوربا الشرقية وروسيا، واستغل قسم من الأجانب هذا الموقف ودخلوا إلى الجزر، وهكذا استطاع اليهود التغلغل داخل المجتمع البريطاني، وبدأوا يتقلدون مناصب في الدولة، وأصبح قسم منهم أعضاء في البرلمان.

الكلمات المفتاحية: بريطانيا، اليهود، الهجرة، الفكتوري، السلاف.

The position of the Conservative Party on the immigration of Jews to Britain in the second half of the Victorian era and the Adorian era

M. D. Adnan Salih Mohammad
The General Directorate of Education in Salah al-Din Governorate

Abstract

Jewish immigration to Britain in the second half of the Victorian era and the Adorian era was considered one of the most important events that faced Britain in the second half of the nineteenth century and the first decade of the twentieth century, which affected the life of the original citizen politically, socially and economically, which led to the party The British Conservatives stood against this immigration, but the party, as a result of changing its ideas, gradually began to change its

position on this immigration, and therefore Jewish cohorts began to flock to Britain coming from Eastern Europe and Russia, and some foreigners took advantage of this position and entered the islands, and thus the Jews were able From infiltration into British society, they began to hold positions in the state, and some of them became members of Parliament.

Keywords: Britain, Jews, Immigration, Victorian, Slavs.

المقدمة

بدأت فكرة إيجاد كيان سياسي (دولة يهودية) من بريطانيا والتي كان من شانها ان تنهي حالة التيه التي يعيشها اليهود منذ تعرضهم إلى الاضطهاد في روسيا بصورة خاصة وأوروبا عموماً، وظهرت في أواخر القرن التاسع عشر فكرة تجميع اليهود في مكان واحد، تضمن لهم التميز من الناحية الاجتماعية، وتبعد عنهم خطر الذوبان داخل المجتمعات الأوربية التي كانوا يعيشون داخلها أقليات تعاني التهميش والاحتقار وتبقى على هامش الحياة السياسية والاقتصادية. وظهرت الصهيونية في سياق أوربي تميز بنزعة قومية متعاظمة سادت أوربا في القرن التاسع عشر، وما رافقها من حروب دموية كان الانتماء القومي الركن الأساس للتعبئة من أجلها، وقيام كيانات وطنية قومية الهدف الأساسي لها، تم تقسيم البحث الى خمسه محاور ، تناول المحور الأول بدايات الهجرة اليهودية الى بريطانيا ، فيما تناول المحور الثاني موقف حزب المحافظين من هجرة اليهود (١٩٠٠-١٩٠٥)م ، اما المحور الثالث فقد تطرق الى أوضاع بريطانيا وموقف حزب المحافظين من اليهود في عام ١٩٠٥م ، اما المحور الرابع فتناول اصلاح الرسوم الكمركية وتقييد هجرة اليهود ، وأشار المحور الخامس الى قانون هجرة الأجانب ومعارضة حزب المحافظين له ١٩٠٦-١٩٠٨ م .

أولاً: بدايات الهجرة اليهودية إلى بريطانيا: رحبت بريطانيا في منتصف العهد الفكتوري[١] (The American Peoples Encyclopedia, U.S.A., 1962,P. 304.) باللاجئين

(١) العصر الفكتوري: يطلق على الأعوام التي تولت فيها الملكة فكتوريا "Victoria" عرش بريطانيا (٢٠ حزيران ١٨٣٧ – ٢٢ كانون الأول ١٩٠١م) العصر الفكتوري، إذ امتدت فيه سيطرة الإمبراطورية البريطانية إلى ثلث العالم، من أفغانستان وهضبة التبت وكل الهند الذي قدر حجمها بأربعة وثلاثين مرة بقدر حجم بريطانيا، إلى هونغ كونك ونيوزلندا واستراليا، وإلى كندا التي تبلغ مساحتها أربعين مرة بقدر مساحة بريطانيا، أما في أفريقيا فقد سيطرت الإمبراطورية البريطانية على ومصر في الشمال ونيجيريا وامتدت إلى أطراف القارة في تسعينات القرن التاسع عشر. ينظر:

The American Peoples Encyclopedia, U.S.A., 1962, Vol. 19, P. 304.

السياسيين والمهاجرين لأسباب اقتصادية القادمين من الدول الأوربية، لكن أعداد الوافدين في بداية الامر كانت قليلة نسبياً، إذ بلغ عددهم حوالي (٧٠,٠٠٠) ألف يهودي على مدى ثلاثين عاماً، زاد عددهم بحلول العام ١٨٨١ ليصبح حوالي (١١٨,٠٠٠) ألف، وكانت هناك أعداد أكبر بكثير من المهاجرين الايرلنديين الذين هجروا في بريطانيا، فضلاً عن ذلك كان هناك انتقال المهاجرين الذين استقروا في الريف إلى المدينة بحثاً عن فرص عمل، وكان المهاجر الأجنبي أقل تمييزاً وسط هذه الحركة الداخلية الأكثر عمومية داخل الجزر البريطانية، وادى النمو الاقتصادي دوراً كبيراً في حماية المهاجرين من العداء، وعلى الرغم من التوسع الاقتصادي الذي شهدته بريطانيا في سبعينيات القرن التاسع عشر؛ إلا أن هذه المدة شهدت كساداً اقتصادياً تسبب في الكثير من المصاعب، ولاسيما في المناطق الريفية، وأدى فشل الازدهار الزراعي إلى هجرة أعداد كبيرة من المزارعين من الريف إلى المدن (Green,1995,P78).

وشهدت المدة من عام ١٨٨١ تغيراً نوعياً وكمياً في طبيعة هجرة الأجانب إلى بريطانيا، وحدثت الهجرة الجماعية إلى الجزر البريطانية في أعقاب المذابح التي حدثت بين عامي (١٨٨١ – ١٨٨٢) في روسيا القيصرية[١] (Joubert,1905,P106) ، وتوجه الحكومة الروسية نحو معاداة السامية، والصعوبات الاقتصادية المستمرة التي واجهت اليهود في غاليسيا، وأماكن أخرى من أوربا الشرقية (Green,1995,P.92). ولم يكن اليهود وحدهم من جاء إلى شواطئ بريطانيا، بل هناك قوميات أخرى منهم السلاف[٢] "Slavs" ،(Green,1995,P.206). إلا أن أكبر عدد من المهاجرين الذين استقروا في بريطانيا على مدى السنوات الخمس والعشرين التالية كانوا من اليهود، الذين قدموا أساسا من أوربا الشرقية(Green,1995,P.3014).

(١) قامت القوات الروسية بمذبحة في جنوب غربي روسيا، والتي تعرف اليوم بجمهورية أوكرانيا وبولندا ضد الأقلية اليهودية، كما ارتكبت عدد من المجازر ضد السكان من الأقلية اليهودية في شرقي أوربا، ومن أبرز المجازر التي قام بها الجيش القيصري هي: اقتحام العاصمة البولندية وارشو عام ١٨٨١م، ومقتل عدد من اليهود، وهي تعرف اليوم بمجزرة وارشو، كما قام الجيش الروسي بدخول مدينة كييف، وقتل عدد من اليهود، بسبب اتهام الحكومة الروسية اليهود بأنهم وراء عملية مقتل القيصر الكسندر الثاني (٢٩ نيسان ١٨١٨ – ١٣ آذار ١٨٨١م). ينظر:

Joubert ,Carl, 1905,Caesarean Fall, London, P. 106.

(٢) السلاف: أكبر مجموعة عرقية في أوربا، وينقسمون إلى: السلاف الشرقيين (معظمهم من البيلاروسيين والروس والأوكرانيين)، والسلاف الغربيين (ومنهم التشيك والبولنديين والسلوفاك)، ويتبع عموم السلاف الكنيسة=الشرقية (أرثوذكس)، فيما يتبع بعض السلاف دينبا الكنيسة الغربية (كاثوليك)، وهناك أقليات من البروتستانت واللوثريين، وقسم منهم يعتنقون الدين الإسلامي.ينظر :.Ibid., P.206

استقر اليهود في بريطانيا في الأماكن الداخلية، ولاسيما في مدن مانشستر "Manchester" وليدز "Leeds"، وسكن قسم منهم في مدن شيفيلد "Sheffield" وليستر "Lester"، إذ كان ينظر إلى الصناعات التحويلية على أنها توفر فرصاً للتوظيف بصورة عامة، وتركز الاستيطان اليهودي أيضاً في الطرف الشرقي من لندن، وتشير التقديرات إلى أن عدد اليهود ازداد من (٦٥,٠٠٠) ألف في عام ١٨٨١ إلى ما يقارب من (٣٠٠,٠٠٠) ألف بحلول العام ١٩١٠، إذ استقر ما يقارب من (٢٠٠,٠٠٠) الف في لندن وحدها (Green,1995,P.315).

كان موقف حزب المحافظين معارضا لهجرة اليهود لانه وحسب وجهة نظر الحزب يهدد النسيج الاجتماعي البريطاني المتماسك، وعبر عن ذلك زعيم الحزب روبرت غاسكوين[١] " Robert Gascoigne"(جي باركر ،٢٠٢٠،ص١٣٥-١٣٧؛ Encyclopedia (Britannica,1991, P.312 في خطابه الذي ألقاه أمام مجلس العموم في ٥ تموز ١٨٨٥، الذي أكد رفض الحزب القاطع لهذه الهجرة .(Farr and Nolan ,N.D.,P117).

على الرغم من معارضة حزب المحافظين للهجرة اليهودية، إلا أن يهود أوربا الشرقية بدأوا بالوصول إلى السواحل البريطانية، وأصبحوا ينافسون السكان الأصليين على السكن والعمل.(Farr and Nolan ,N.D.,P118).هنا أخذت معارضة حزب المحافظين للهجرة تتصاعد، ودعا إلى إيقاف هذه الهجرة، ولاسيما بعد أن أصبح لليهود صوت وصل إلى مجلس العموم، وزعم قادة الحزب وأعضائه أن المهاجرين اليهود يعملون بأجور أقل وساعات أطول، علاوة على ذلك أدى وجودهم إلى زيادة الإيجارات في المناطق التي يعيش فيها العمال البريطانيون(Charmley,1986,P.236) .

وفي ٢٦ تموز ١٨٩٥ قدم رئيس الوزراء المحافظ اللورد سالزبوري "Lord Salisbury" مشروع قانون يخص هجرة اليهود، على الرغم من أن سالزبوري كان مهتماً بمعالجة المشاكل الداخلية أكثر من اهتمامه بالمهاجرين، إلا أن مشروع قانونه احتوى بنداً لاستبعاد الأجانب (غير اليهود)،

(١) روبرت غاسكوين: رجل دولة وسياسي بريطاني محافظ، ولد في الثاني من شباط ١٨٣٠م في لندن، تلقى تعليمه في ايتون "Eaton"، واكسفورد "Oxford"، وكان شغوفاً بالعلم والثقافة، دخل البرلمان في عام ١٨٥٣م، وفي عام ١٨٥٧م تزوج من جورجيانا "Georgiana"، عارض حصول اليهود على عضوية مجلس العموم، وكان يكره رئيس الوزراء بنيامين دزرائيلي "Benjamin Disraeli"، على الرغم من انه كان زميلاً له في حزب المحافظين، تولى رئاسة الوزراء ثلاث مرات في عهد الملكة فكتوريا (٢٣ حزيران ١٨٨٥ – ٢٨ كانون الثاني ١٨٨٦م / ٢٥ تموز ١٨٨٦ – ١١ آب ١٨٩٢م / ٢٥ حزيران ١٨٩٥ – ١١ تموز ١٩٠٢م)، تقاعد عن العمل السياسي وتوفي في ٢٢ آب ١٩٠٣م. ينظر: جي باركر ،روبرت ،٢٠٢٠، رؤساء وزراء بريطانيا، ترجمه عن الإنكليزية وعلق عليه وأضاف إليه: صادق حسن السوداني، بغداد، مؤسسة ثائر العصامي للطباعة والنشر والتوزيع، ص١٣٥ – ١٣٧؛ Encyclopedia Britannica,1991, Vol.3, P.312

وأعلن في آب ١٨٩٥ ان حكومة سالزبوري تعد مشروعاً جديداً ينظم هجرة اليهود، لكن حكومته لم تنجح بهذا الأمر، لأن الليبراليين كانوا قد عارضوا هذا المشروع (Farr and Nolan ,N.D.,P119).

ثانياً. موقف حزب المحافظين من هجرة اليهود ١٩٠٠- ١٩٠٥ :

خاص حزب المحافظين الانتخابات العامة في خريف العام ١٩٠٠، عندما كانت بريطانيا منشغلة بقضية حرب البوير[١] (تشيني ،٢٠١٩، ص٢٢٠-٢٢١) في جنوبي أفريقيا، وكانت الحرب قد وصلت بحلول شهر تشرين الثاني ١٩٠٠ إلى مرحلة انتهت فيها مقاومة البوير للغزو البريطاني، على الرغم من استمرار القتال كحرب عصابات حتى أيار ١٩٠٢(Ramsden,1978,P.86) . ودعا حزب المحافظين الناخبين للتركيز على قضايا داخلية وخارجية عدة كانت تواجه بريطانيا، وإحدى أهم هذه القضايا هجرة اليهود التي كان لها أهمية خاصة في الطرف الشرقي من لندن، واحتلت جزءاً كبيراً من الحملات الانتخابية في المقاطعات البريطانية، وتعهد سالزبوري بدعم أي مشروع يتم تقديمه لتقييد أية هجرة أجنبية(Farr and Nolan ,N.D.,P120).

شكلت لجنة داخل مجلس العموم في ٣١ تموز ١٩٠١، عرفت باسم لجنة هجرة الفقراء البرلمانية، برئاسة المحافظ فينسينت "Vincent"، ضمت (٥٠) عضواً، واقترح رئيس اللجنة في تشرين الثاني ١٩٠٢ إدخال تشريعات تقييدية على المهاجرين، ودعت اللجنة في كانون الأول من العام نفسه مرة ثانية إلى إدخال تشريعات تقييدية على هجرة اليهود إلى بريطانيا، و اقترحت الحكومة بعد ذلك إرسال مشروع القانون إلى اللجنة الخاصة التي شكلت لهذا الغرض، فعمل حزب المحافظين على منع الموافقة على المشروع، من خلال طرح العديد من التعديلات، مما أدى إلى فشل المشروع، وعمل زعيم حزب المحافظين آرثر بلفور[٢] "Arthur Balfour"

(١) حرب البوير (١٨٩٩ – ١٩٠٢م): وتعرف أيضاً بحرب جنوبي أفريقيا، هو صراع بين بريطانيا وجمهورية ترانسفال ودولة أورنج الحرة، بسبب اكتشاف الذهب في عام ١٨٨٦م، ووصول الباحثين عنه من المغامرين، تم التوصل إلى سلام في أيار ١٩٠٢م، بموجب معاهدة فيرنغنغ "Ferring"، بعد أن حقق البريطانيون النصر فيها. ينظر: تشيني ، ادوارد ، ٢٠١٩، موجز تاريخ انكلترا حتى ١٩٤٤م، ترجمه بتصرف عن الانكليزية وعلق عليه: صادق حسن السوداني، بغداد، مؤسسة ثائر العصامي للطباعة والنشر والتوزيع، ص٢٢٠ – ٢٢١.

(٢) آرثر بلفور: رجل دولة وسياسي بريطاني محافظ، ولد في لندن في ٢٥ تموز ١٨٤٨م، وهو الابن الأكبر لجميس ميتلاند بلفور "James Maitland Balfour"، والليدي بلانش سيسل "Lady Blanche Cecil"، تلقى تعليمه في ايتون وكمبردج، دخل البرلمان أول مرة عام ١٨٧٤م عضواً عن حزب المحافظين بدعم من خاله اللورد سالزبوري، أصبح وزيراً لشؤون ايرلندا في عام ١٨٨٧م، ليحصل على لقب بلفور الدموي، بسبب حزمه وقسوته في تنفيذ السياسة البريطانية، تولى منصب رئاسة الوزراء للمدة من (١١ تموز ١٩٠٢ – ٥ كانون الأول ١٩٠٥م)، أصبح أول رئيس وزراء بريطاني يقود سيارة إلى (١٠) داونغ ستريت (مقر رئاسة الوزراء)، قاد وزارة

(Encyclopedia Britannica,2001,P.422.) بكل قوة على عدم تمرير مشروع القانون في البرلمان، فحثّ أعضاء حزب المحافظين على عرقلة هذا المشروع، بسبب موقف الحزب الرافض بالسماح للأجانب بالهجرة إلى بريطانيا لأنهم بدأوا يشكلون عائقاً أمام حصول المواطن الأصلي على فرص العمل (George,1967,P.178). وكان من المقرر أن تعلن حكومة بلفور عن إعادة تقديم مشروع قانون الأجانب مرة ثانية في شباط ١٩٠٥، إلا أن سياسة الحزب كانت تناهض مثل هكذا مشاريع، وأن الحكومة كانت منشغلة بقضية إصلاح الرسوم الكمركية التي لم تصل إلى منعطف حاسم(George,1967,P.179).

ثالثاً. أوضاع بريطانيا وموقف حزب المحافظين من اليهود ١٩٠٥م:

جرت انتخابات فرعية في شرقي لندن في آذار ١٩٠٥، أسفرت عن فوز مرشحي حزب المحافظين بأغلبية الأصوات، مما عزز فرصة وقوف الحزب ضد أي مشروع قانون يؤيد هجرة اليهود إلى بريطانيا مهما كانت الأسباب، لكن الحزب أظهر ليونة بعد ذلك، واستثنى من ذلك المهاجرين المضطهدين سياسيا ، ووافق أيضاً على السماح لهم بالدخول من ثمان موانئ، وتمت الموافقة على مقترح حزب المحافظين المعدل في ١٢ أيار ١٩٠٥ بأغلبية (٢١١) صوتاً مقابل (٥٩) صوتاً، وربما كان هذا التغيير في موقف حزب المحافظين بسبب الضغوط التي مارسها النواب الليبراليي(Birch,1984,P.207) . وتم إدخال تعديل آخر على القانون في ٦ آب ١٩٠٥ ليشمل الأجانب المضطهدين بسبب معتقدهم الديني، وأقر التعديل في البرلمان في ٢٢ آب من العام نفسه بأغلبية (٢١٤) صوتاً مقابل (١٣٦) صوتاً، وحصل المشروع على مصادقة مجلس اللوردات في ٢٩آب ١٩٠٥م ،وبعد ذلك حصل على الموافقة الملكية (Jenkins,1973,P.206).

كان عدد سكان بريطانيا في العام ١٩٠١ حوالي (٤١,٤٥٩,٠٠٠) نسمة، وتشير التقديرات إلى أن العدد الإجمالي للمهاجرين الأجانب يبلغ (٤٠٠,٠٠٠) ألف مهاجر، كان إجمالي الجالية اليهودية منهم حوالي (٢٥٠,٠٠٠) ألف نسمه ، يعيش ثلثهم في لندن، لكن بعد ذلك قلّ عدد المهاجرين، إذ تحولت هجرة هؤلاء الأجانب إلى الولايات المتحدة الأمريكية(Green,1995,P.132)، وقد أوجدت هذه الهجرة خوفاً متزايداً في أواخر العهد الفكتوري في لندن، أكثر من بقية المقاطعات البريطانية، وأصبح هذا الخوف أكثر وضوحاً في

الخارجية وأصدر في ٢ تشرين الثاني تصريح بلفور، داعياً إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، توفي في ١٩ آذار ١٩٣٠. ينظر :

Encyclopedia Britannica,2001, Vol.3, P.422.

العصر الأدوري[١] (Encyclopedia Britannica,2001, P.416) ، إذ كان ينظر إلى بريطانيا وإمبراطوريتها على أنها في حالة انحدار محتمل، بينما كان ينظر إلى القوى الأوربية الأُخرى على أنها تحرز تقدماً واضحاً، ولاسيما في مجال الاقتصاد، في حين تخلفت بريطانيا عن قيادة التجارة العالمية مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وألمانيا، إذ شهدت هذه البلدان زيادة سريعة في عدد السكان، مما سيؤدي بالتالي إلى زيادة قوة اقتصادها(Samuel,1962,P.173).

وعلى الرغم من أنه لم يكن لدى حكومات العهدين الفكتوري والأدوري بيانات إحصائية دقيقة، إلا أن الاتجاهات العامة في النمو السكاني والمؤشرات الاقتصادية كانت واضحة، إذ ارتفع عدد سكان الجزر البريطانية من (٣٧,٤٠٠,٠٠٠) نسمة عام ١٨٩٠ إلى حوالي (٤١,١٠٠,٠٠٠) نسمة عام ١٩٠٠، وخلال المدة نفسها ارتفع عدد سكان روسيا من (١١٦,٨٠٠,٠٠٠) نسمة إلى (١٣٥,٩٠٠,٠٠٠) نسمة، وفي الولايات المتحدة الأمريكية من (٦٢,٦٠٠,٠٠٠) نسمة إلى (٧٥,٩٠٠,٠٠٠) نسمة، فيما شهد النمو السكاني في النمسا والمجر تزايداً من (٣٩,٩٠٠,٠٠٠) نسمة إلى (٤٦,٧٠٠,٠٠٠) نسمة، أما ألمانيا فقد ارتفع معدل النمو السكاني من (٤٩,٢٠٠,٠٠٠) نسمة إلى (٥٦,٠٠٠,٠٠٠) نسمة، وكان التعداد السكاني النسبي بحلول العام ١٩١٠: بريطانيا (٤٤,٩٠٠,٠٠٠)، روسيا (١٥٩,٣٠٠,٠٠٠)، الولايات المتحدة الأمريكية (٩٧,٣٠٠,٠٠٠)، وألمانيا (٦٦,٩٠٠,٠٠٠)، والنمسا والمجر (٥٢,١٠٠,٠٠٠)، وكانت بريطانيا في مواجهة القوى العظمى الأُخرى التي كانت تعاني بصورة متزايدة من النمو السكاني(Jenkins, 1973,P.133). فواجهت بريطانيا تحديات خطيرة خلال هذه المدة، إذ شهدت بريطانيا ذروة الإنتاج الصناعي بحساب النسبة المئوية بالنسبة للعالم، إذ بلغت (٢٢,٩%) في عام ١٨٩٠م، في وقت بلغت نسبة الولايات المتحدة الأمريكية (١٤,٧%)، وألمانيا (٨,٥%)، وفرنسا (٧,٨%)، وروسيا (٧,٦%)، أما النمسا والمجر فبلغت (٤,٤%)، لكن التراجع النسبي لبريطانيا بدأ في العهد الأدوري، واستمر هذا التراجع، وبحلول عام ١٩٠٢م بلغت نسبتها (١٣,٦%) فقط مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية التي بلغت نسبتها (٣٢%)، وألمانيا (١٤,٨%)(William,2001,P.79).

(١) العصر الأدوري: يطلق على المدة التي تولى فيها الملك ادوارد السابع (٢٢ كانون الثاني ١٩٠١ – ٦ أيار ١٩١٠م) عرش بريطانيا، وادوارد السابع أول عاهل من أسرة ساكس كوبورغ "Saxe Coburg" يتولى حكم بريطانيا، وهو الابن الأكبر للملكة فكتوريا من زوجها الأمير ألبرت "Prince Albert" شهدت مدة حكمه==تحديث الأسطول البحري البريطاني الذي يعد أقوى أسطول بحري في العالم منذ هزيمة الأسطول الإسباني في موقعة الأرمادا الشهيرة في عام ١٥٨٨م، وعمل على إصلاح الخدمات الطبية للجيش بعد حرب البوير، شجع على التقارب مع فرنسا، وأطلق عليه لقب (صانع السلام).ينظر:

Encyclopedia Britannica,2001, Vol.12, P.416.

أعربت الأوساط البريطانية عن قلقها على نطاق واسع بشأن ما أطلق عليه المؤرخون المعاصرون بانحطاط العرق الإنكليزي، وقد كشفت تجربة تجنيد الجيش في حرب البوير عن الحالة البدنية غير المرضية للطبقة العاملة البريطانية، فقد كشف الجنرال السير فريدريك موريس "Sir Frederick Morris" في كانون الثاني ١٩٠٤م أن (٦٠%) من المجندين غير مؤهلين للخدمة العسكرية، وعلى إثرها اضطرت الحكومة إلى تشكيل لجنة مشتركة (مدنية وعسكرية) لفحص عينات من المجندين، وخلصت إلى أن وضع فقراء الحضر قد ساء منذ منتصف العصر الفكتوري، بسبب هجرة الأجانب إلى بريطانيا(Wilson,1997,P.216). بل ان أحد كتاب حزب المحافظين ويدعى أليوت ميلز "Elliott Mills" ذكر في كتابه (تراجع الإمبراطورية البريطانية) "Decline of the British Empire"، والذي نشر في العام ١٩٠٥، ما عده الأسباب الثمانية للانحدار البريطاني على النحو الآتي:

١- هجرة اليهود ومنافستهم سكان البلاد الأصليين وتقليلهم فرص العمل.
٢- التحضر وتأثيره على الصحة والإيمان.
٣- التخلي عن الملاحة البحرية.
٤- تراجع الذوق الأدبي والدرامي.
٥- تدهور اللياقة البدنية وصحة البريطانيين.
٦- تدهور الحياة الفكرية والدينية.
٧- الضرائب المفرطة والإسراف البلدي.
٨- عدم قدرة البريطانيين على الدفاع عن أنفسهم وعن الإمبراطورية
(William, 2001,P.81).

امام هذا كله كانت وجهة نظر حزب المحافظين تجاه اليهود المهاجرين أنهم يمثلون جزءا من مؤامرة دولية لتقويض الإمبراطورية البريطانية، فقد صرحوا أن لهم تأثير مدمر على الشخصية البريطانية، وأعرب جوزيف تشمبرلن[1] "Joseph Chamberlain" (Encyclopedia Britannica,2001, P.326) لوزير الخارجية الإيطالي جوليو أندريوتي " Giulio Anderotti" أنه يحتقر عرقاً واحداً فقط، وهم اليهود، الذي عدّهم جميعاً جبناء، وعدّهم أيضاً

(١) جوزيف تشمبرلن: رجل دولة وسياسي بريطاني، ولد في ٨ تموز ١٨٣٦م في لندن، انظم إلى حزب الأحرار (١٨٦٦ – ١٨٨٦م)، وكان أول ليبرالي متعصب عارض الحكم الوطني في ايرلندا، أصبح وزيراً للمستعمرات (١٨٩٥ – ١٩٠٣م)، ثم انتقل بعد ذلك إلى صفوف حزب المحافظين (١٩١٢ – ١٩١٤م)، وكان أحد أهم السياسيين البريطانيين في عصره، على الرغم من انه لم يتول منصب رئاسة الوزراء، دعا إلى الزامية التعليم ومجانيته قائلاً: **"من واجب الدولة أن تعتني بتعليم الأطفال بقدر ما تعتني بغذائهم"**، توفي في ٢ تموز ١٩١٤. ينظر: Encyclopedia Britannica,2001, Vol.11, P.326 .

أنهم من قام بخلق ظروف معيشية سيئة، وأسهموا في تعزيز الرذيلة والجريمة في المجتمع البريطاني المتماسك اجتماعياً(Wilson,1997,P.217). كما افتتح تشمبرلن في ٦ تشرين الثاني ١٩٠٣ حملته المعادية لليهود في غلاسكو "Glasgow" من خلال تحديد شيئين رئيسين هما: أولاً: رغبته في الحفاظ على القوة الوطنية وازدهار المملكة المتحدة، وثانياً: تعزيز العرق البريطاني، وعبر عن ذلك قائلاً: **"لم أكن مستعداً للنظر إلى انهيار بريطانيا صناعياً أو اضمحلالها"**، ووجه تشمبرلن نداءه إلى الطبقات العاملة على أساس المصلحة الوطنية، وأن يكون اقتصاد السوق غير مقيد، من خلال السماح بالاستيراد من الخارج، فضلاً عن أن الضرائب المباشرة لتمويل التشريعات الاجتماعية من شأنها أن تقلل من مستويات المعيشة (Hill,1966,P.128).

تقدم حزب المحافظين الى مجلس العموم باقتراح دعا فيه إلى إصلاح السياسة المتعلقة بكل من الواردات الأجنبية وتدقيق الأجانب المعوزين، ومع ذلك لم يتمكن سالزبوري من وضع هذه المقترحات موضع التنفيذ، على الرغم من انه قد يكون رغب في ذلك شخصياً، والذي كان من الممكن أن يقوّض بشكل كبير العلاقة بين المحافظين والأحرار، كما تقدم تشمبرلن بمقترح إلى البرلمان لإصلاح الرسوم الكمركية، ودعا الحزب في اجتماعه الذي عقد يومي السابع والثامن من تشرين الثاني ١٩٠٣ لتأييد مقترح تشمبرلن، وأقيمت في ٨ تموز ١٩٠٤ احتفالية بعيد ميلاد تشمبرلن الثامن والستين، حضرها (١٧٧) نائباً أعربوا عن دعمهم لمقترحاته (Hill,1966,P.128-129).

رابعاً. إصلاح الرسوم الكمركية وتقييد هجرة اليهود:

واصل حزب المحافظين تبنيه مقترحاته بإصلاح الرسوم الكمركية وتقييد هجرة اليهود، وعمل على تغيير سياسات الإصلاح المالي المعدلة، وتطبيق سياسة التقييد الأجنبي، لذلك ليس من المستغرب أن يعارض المقيمون الحفاظ على التجارة الحرة، علماً أن هناك اختلاف ايديولوجي ضئيل بين التجارة الحرة في السلع، والتجارة الحرة في السكن، وكان السير هوارد فنسنت "Haward Vincent"، أحد قادة حزب المحافظين، هو الذي اقترح فرض التعريفة التجارية في مؤتمر الاتحاد الوطني في العام ١٨٨٧، فكانت مناشدة الطبقة العمالية التصويت على المقترح من ضمن جدول أعمال المؤتمر (Peter,1912,P.122).

صرح هوارد فنسنت في خطابه الانتخابي قبيل الانتخابات العامة في بريطانيا لعام ١٩٠٠ أنه مستعد لتبني أي اقتراح لتقييد هجرة اليهود والأجانب أو دعمه، وفي تموز ١٩٠٤ في الاجتماع الذي عقد للدائرة، ذكر فيه: "إن أولئك الذي دعموا مشروع قانون هجرة اليهود والأجانب كانوا انفسهم من اقترح منع المصادرة بالجملة لمنازلهم، توظيف اليهود والأجانب"، وقد أيد ويليام هايز فشر "William Hayes Fisher" وزير الخزانة في حكومة آرثر بلفور هذا الرأي، أما هنري

بيلنغ "Henry Billing" أحد قادة حزب المحافظين، فقد وصف الدائرة الانتخابية في خطابه الذي ألقاه في ٢ آب ١٩٠٤ أنه يعمل على تقييد هجرة اليهود إلى بريطانيا ومنعها، للمحافظة على العرق الانكلو – ساكسوني، ووصف نفسه بأنه مصلح اجتماعي، فيما وصف تشمبرلن في خطابه المعارض لمشروع قانون هجرة الأجانب لعام ١٩٠٤ قائلاً: "يستند عملنا برمته إلى الاعتقاد بأن الوقت قد حان لحماية الرجل البريطاني في وظيفته"، لكن التهديد بدأ يطول (العرق الانكلو – ساكسوني)، حتى ولو كان يميل في بعض الأحيان إلى الاختفاء أو الانزواء (Wilson,1997,P.218).

لم تكن معاداة السامية العلنية مقبولة في السياسة البريطانية السائدة، وكانت هناك إشادة محدود باليهود فقط على هذا النحو، وعلى الرغم من أن التقييد كان يستهدف في المقام الأول الهجرة اليهودية إلى بريطانيا، إلا أن المصطلحات المستخدمة وصفتهم عموماً بـ(الأجانب)، والتي لم تحدد أية مجموعة عرقية او دينية أخرى، وغالباً ما كان يؤكد المقيدين أنهم ليسوا معادين للسامية، وهذا ما دفع الهيآت اليهودية على تشجيع يهود أوربا الشرقية على الهجرة والاستقرار في بريطانيا (Hill,1966,P.129).

كان قد بدأ التهديد للثقافة الإنكليزية يلوح في الأفق، وهو الذي تم التعبير عنه صراحةً في الخطاب الذي ألقاه ارثر بلفور في مجلس العموم في ٣ تموز ١٩٠٥م، والذي أشار فيه قائلاً: "لم يكن من مصلحة حضارة البلاد أن يتواجد عدد كبير من اليهود في بريطانيا، فمهما اندمجوا في الحياة الوطنية، فقد ظلوا منفصلين، ولم يقتصر الأمر على العادات والتقاليد الاجتماعية، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، ألا وهو اعتناق دين مختلف عن الدين الذي يعتنقه الإنكليز"، وأضاف بلفور قائلاً: "انه على الرغم من الحالة التي وصل إليها المجتمع الإنكليزي الا ان هذه الهجرة لم تشكل خطراً كبيراً على الأمة ، ولكن وقعت بعض الشرور على أجزاء من البلاد، بسبب هجرة اليهود"، وخشي بلفور أن يكون هناك في المستقبل خطراً يتمثل في أن بريطانيا قد تحذو حذو بعض الدول التي تضررت من جراء هجرة اليهود اليها ، وكان اليهود حسب ادعاء رئيس الوزراء البريطاني آرثر بلفور مسؤولين عن خلق معاداة السامية السياسية، وبصورة خاصة عن تقويض المجتمع البريطاني بحكم الحفاظ على هويته العرقية (Parker,1993,P.204).

خامساً. قانون هجرة الأجانب ومعارضة حزب المحافظين له ١٩٠٦-١٩٠٨:

أدت قضية إصلاح الرسوم الكمركية إلى انقسام أعضاء حزب المحافظين في البرلمان، فاستقال ارثر بلفور ووزراؤه وفي بداية كانون الأول ١٩٠٥، وكلف الملك ادوارد السابع "Edward VII" هنري كامبل بنرمان[١] "Henry Campbell Bannerman"

(١) هنري كامبل: رجل دولة وسياسي وبرلماني بريطاني من حزب الأحرار، ولد في السابع ٧ أيلول ١٨٣٦م في مدينة غلاسكو الاسكتلندية، وهو ابن السير جيمس وجانيت "James and Janet"، تلقى تعليمه في جامعة

(Encyclopedia Britannica,2001, P.416)بتشكيل الحكومة، ودعا هنري إلى إجراء انتخابات جديدة، وقد هيمنت القضية العامة للتجارة الحرة على الموقف، مقابل إصلاح التعريفة على الانتخابات، وأشار حوالي (١٠٠) مائة من المرشحين الأحرار إلى دعم قانون هجرة الأجانب، ودافعوا عن سن هذا التشريع، وكان هذا العدد من المرشحين أكبر من عدد المرشحين الذين أشاروا إلى قضايا الإصلاحات الدستورية، والإسكان، وتعويضات العمال، وإصلاح قانون النقابات العمالية، والحرب الناجمة في جنوبي أفريقيا، وكانت قضية هجرة الأجانب مسألة مهمة في الحملة الانتخابية في شرقي لندن، وصرح هنري كامبل بنرمان أمام مجلس العموم في الخامس من كانون الأول ١٩٠٦م عندما تحدث عن قانون الأجانب قائلاً: "إن الجالية اليهودية عانت من ظلم كبير، لأنها كانت مسؤولة عن أفعال عدد قليل من السيئين، ومعظمهم من حثالة الناس"، ودعا إلى دعم قانون هجرة الأجانب، بينما دعا في الوقت نفسه إلى تبني حل إقليمي لليهود عن طريق إيجاد وطن خاص بهم(Parker,1993,P.205).

كان من المقرر أن تغير الانتخابات يمثل تغيير في ميزان التمثيل السياسي في وستمنستر، ولاسيما بعد ازدياد ملحوظ بعدد الناخبين في الانتخابات المزمع إجراؤها، وقد أظهر الأحرار نهجاً أكثر صرامة للسياسات الحزبية، واستمرار العداء تجاه هجرة اليهود، لكن مجلس العموم صوت بعد عرض قانون هجرة الأجانب في المجلس لصالح القرار في ٥ كانون الأول ١٩٠٥، ودخل حيز التنفيذ في الأول من كانون الثاني ١٩٠٦، وكان على هربرت كلادستون " Herbert Cladstone" وزير الخارجية من حزب الاحرار أن يتعامل مع القانون بتساهل أكثر مما يرغب فيه المناهضون للأجانب، فقد سمح له القانون بتخصيص سفينة لنقل (١٢٠) شخص من اوربا الشرقية الى بريطانيا_، على أن تكون خاضعة للتفتيش، واشتكى عدد من النواب في أكثر من مناسبة على هذا الإجراء، فضلاً عن أن قانون الأجانب يدار بشكل متساهل للغاية من قبل حزب الأحرار، وهو ما اعدّ في الواقع بمثابة إلغاء للأحكام الرئيسة لقانون البرلمان، وطالبوا بأن لا يطبق القانون بصورة أكثر صرامة، وفي تشرين الثاني ١٩٠٦م اتهم حزب المحافظين النواب الأحرار بمحاولة دفع الحكومة إلى تطبيق بنود القانون(Jenks,1988,P.175).

أعرب نشطاء حزب المحافظين عن قلقهم مما كان ينظر إليه على انه نجاح للأحرار في تنفيذ القانون بطريقة صحيحة ، وفي ١٠ تموز ١٩٠٧م عارض أعضاء مجلس النواب المحافظين

غلاسكو وترنتي كوليدج "Trinity College" وكمبردج، تزوج من شارلوت بروس "Charlotte Bruce" في عام ١٨٦٠م، ولم ينجبا أطفال، دخل البرلمان للمرة الأولى في عام ١٨٦٨م، أصبح رئيساً للوزراء للمدة (٥ كانون الأول ١٩٠٥ – ٧ نيسان ١٩٠٨م)، عمل على منح ايرلندا واسكتلندا حكماً ذاتياً، في عام ١٩٠٧م تعرض إلى أزمتين قلبيتين، توفي في الثاني والعشرين ٢٢ نيسان ١٩٠٨م ودفن في كنيسة ميغيل باريش "Miguel Barbish". ينظر:

Encyclopedia Britannica,2001, Vol.4, P.416.

بشدة تطبيق القانون، ومع ذلك استمر حزب الأحرار في تطبيق القانون على الرغم من معارضة النواب المحافظين الشديدة، ونتيجة إصرارهم استطاع نواب حزب المحافظين في مجلس العموم من الحصول على تأييد إصدار مشروع قانون يقيد هجرة اليهود، وبالمقابل قدم جيمس أوجرادي "James Ogrady" عضو حزب العمال عن ليدز ايست "Leeds East" مشروع قانون إلى مجلس العموم من شأنه أن يحد من هجرة الأجانب إلى بريطانيا، وقد صوت مجلس اللوردات لصالح القانون، وكان أحد الأسباب المحتملة لتصويت مجلس اللوردات لصالح القانون، هو وقوف حزب الأحرار مع أي مشروع قانون يبيح هجرة الأجانب إلى بريطانيا (Parker,1993,P.206).

استمرت مطالبة حزب المحافظين بزيادة القيود، على الرغم من تحول التركيز نحو تشجيع تشريعات جديدة لصالح هجرة الأجانب، ومع ذلك لم تقتصر معاداة هجرة اليهود على النواب المحافظين الذي يمثلون نسبة كبيرة من المقاعد في مجلس النواب، ففي نيسان ١٩٠٧ صرّح النائب عن حزب المحافظين آرثر فيل "Arthur Vail" قائلاً: "إن العمل في الطرف الشرقي من لندن، لاسيما الدوائر الانتخابية التابعة لها أصبح في غاية الصعوبة بعد ارتفاع الأصوات المطالبة بالسماح للأجانب بالهجرة إلى بريطانيا، ودعا إلى اتخاذ إجراءات تمنع التدخل في حقوق العمال الإنكليز"، وأتهم النواب الأحرار بمحاولة كسب عطف الناس لتمرير مخططهم الذي يرمي إلى رفع القيود عن هجرة الأجانب إلى بريطانيا(Jenks,1988,P.176) .

لم يتجاهل الأحرار القانون أو يتحايلوا عليه كما أكد بعض النقابيين، ولم يحاولوا إلغاء القانون، على الرغم من طلب التاجر البريطاني المعروف جون سيلي "John Seely"، وهذا الإجراء عبّر عن استياء الناخبين اليهود من إدارة حكومة الأحرار، على الرغم من وقوفهم الداعم لأي قانون يصب في مصلحة الأجانب، وفي ٧ حزيران ١٩٠٨م نجح حزب المحافظين إلى حد كبير في خفض عدد الأجانب المقبولين بصفة لاجئين دينيين أو سياسيين، وهكذا بدأ أعداد المهاجرين الأجانب يتناقص، إلى أن وصل العدد الإجمالي للمهاجرين اليهود الذين استقروا في بريطانيا بين عامي (١٩٠٦ – ١٩٠٨م) ما بين (٤٠٠٠) إلى (٥٠٠٠) خمسة آلاف، وأن ضغط النواب المحافظين من المحتمل أن يكون السبب في إذعان الأحرار لمناهضة قانون الأجانب وتقييده، وهكذا رفع حزب المحافظين شعار الإصلاح الكمركي الأكثر عمومية (العمل البريطاني من أجل استخدام النقابيين للأيدي البريطانية). ولا شك أنها نقلت إلى عدد من البريطانيين روح معاداة الغرباء، هذا الموقف المعرض من هجرة الأجانب رفع من شعبية حزب المحافظين على الصعيد الوطني(Steware,1986,P.96).

صرح غولدينغ "Golsing" أحد نواب حزب الأحرار في خطابه أمام مجلس العموم في ٦ آب ١٩٠٨م أنه يحترم بشدة المهاجر اليهودي، الذي عده قد أسهم بصورة كبيرة في ازدهار البلاد

وتقدمها، ومضى قائلاً: "إن أولئك الذين يقترحون وقف نمو الهجرة الأجنبية غير المرغوب فيها، لم يفعلوا قط عملاً رائعاً لمنع تصاعد التحريض المعادي للسامية"، ولكن في الوقت نفسه كانوا يؤمنون حماية المجتمع اليهودي الذي يعيشون في وسطنا(Johnson , 1995,P.107).

الخاتمة

من خلال دراستنا لموقف حزب المحافظين من هجرة اليهود إلى بريطانيا في النصف الثاني من العهد الفكتوري والعصر الادوري تم التوصل إلى النتائج الآتية :

١- لم يستقر موقف حزب المحافظين بخصوص هجرة اليهود إلى بريطانيا في النصف الثاني من العهد الفكتوري والعهد الادوري.

٢- كان موقف حزب المحافظين الذي أعلن رسمياً في عام ١٨٨٥م معارضاً لهجرة اليهود إلى بريطانيا لأنه يهد وحدة وتماسك المجتمع البريطاني.

٣- على الرغم من موقف حزب المحافظين المعارض للهجرة اليهودية ، ألا إن طلائع المهاجرين اليهود بدأت بالوصول إلى السواحل البريطانية قادمةً من روسيا وأوروبا الشرقية ، وهذا دليل على ان تأثير حزب المحافظين على الساحة السياسية في بريطانيا لم يكن يشكل ثقلاً كبيراً ومؤشراً في صنع القرار.

٤- تعززت فرصة حزب المحافظين في السيطرة على المسرح السياسي في بريطانيا بعد فوزه في انتخابات عام ١٩٠٥ م ، مما عزز موقف الحزب للوقوف ضد أي مشروع قانون يؤيد هجرة اليهود إلى بريطانيا مهما كانت الأسباب.

٥- تمكن حزب المحافظين بين عامي (١٩٠٦-١٩٠٨) من تقييد قانون هجرة الأجانب وذلك جاء من موقفهم الثابت في مناهضة ومحاولة عدم تمريره ، وهذا رفع من شعبية حزب المحافظين في جميع انحاء بريطانيا .

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية:

١- تشيني ،ادوارد ، ٢٠١٩م ، موجز تاريخ انكلترا حتى ١٩٤٤م، ترجمه بتصريف عن الانكليزية وعلق عليه: الاستاذ الدكتور صادق حسن السوداني، بغداد، مؤسسة ثائر العصامي للطباعة والنشر والتوزيع.

٢- جي باركر ، روبرت ، ٢٠٢٠م، رؤساء وزراء بريطانيا، ترجمه عن الإنكليزية وعلق عليه وأضاف إليه: الأستاذ الدكتور صادق حسن السوداني، بغداد، مؤسسة ثائر العصامي للطباعة والنشر والتوزيع.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

1- Cheney ,Edward, 2019 ,A Brief History of England until 1944 AD, translated from English and commented on by: Professor Dr. Sadiq Hassan Al-Sudani, Baghdad, Thaer Al-Asami Foundation for Printing, Publishing and Distribution,.

2- J. Parker, Robert,2020, The Prime Ministers of Britain, translated from English, commented on, and added to it: Professor Dr. Sadiq Hassan Al-Sudani, Baghdad, Thaer Al-Isami Foundation for Printing, Publishing and Distribution .

3- Samuel ,Beer, 1962, The Conservative Party of Great Britain, London.

4- William ,Ben, 2001, The Evolution of Conservative Party Social, London.

5- Joubert ,Carl, 1905 ,Caesarean Fall, London.

6- Wilson , David Harris,1997, A History of England, U.S.A..

7- Farr ,E. and Nolan, H., N.D., The History of England, London, Vol. 6.

8- Green ,E. H. H.,1995, The Politics Economics and Ideology of the British Conservative Party (1880 – 1914), London and New York.

9- Jenks ,Edward, 1988,The Conservative Party from Peel to Thatcher, London.

10- Encyclopedia Britannica,2001, Vol. 3, 4, 11, 12.

11- Hill , Frank H.,1966, The Conservative Party and Social Policy, London.

12- Johnson ,Frederick ,1995, Conservative Party Politicians at the Tarn of the 21st Centuries, London.

13- Peter ,George, 1912,The Conservative Party and the Future, Oxford.

14- George, Hugh,1967, The Conservative Party and Economic Policy, Oxford, Oxford University Press.

15- Charmley, John,1986, A History of Conservative Politics, New York, St. Martin Press.

16- Parker ,John,1993, Liberals in Schism: A History of the National Liberal PartyLondon ,.

17- Ramsden, John, 1978,The Conservative Party, London – New York.

18-Steware, Jon, 1986,The Crisis of Conservatism: The Polities Economics and Ideology of the British Conservative Party (1964 – 1981)London ,.

19- Birch ,Nigel, 1984, The Conservative Party, New York.

20- Jenkins ,T. A.,1973 , History of England, London.

21- The American Peoples Encyclopedia, U.S.A., 1962, Vol. 19.